الثقة بوعد الله
وأثرها في الثبات العقدي

Trust in God's promise and its impact
on doctrinal stability

الدكتورة فايزة زعل العنزي
استاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والقانون - جامعة تبوك
Dr. Faiza Zaal Al-Anzi,
Assistant Professor in the Department of Islamic Studies,
College of Sharia and Law, University of Tabuk
falenezi@ut.edu.sa

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم الثقة بوعد الله تعالى بوصفها ركيزة أساسية من ركائز العقيدة الإسلامية، وبيان أثر هذه الثقة في تعزيز الثبات العقدي لدى المسلم، لا سيما في أزمنة الفتن والابتلاءات. وقد بدأ البحث بتعريف مفهومي الثقة بوعد الله والثبات العقدي، وبيان أهميتهما في العقيدة، ثم انتقل إلى عرض النماذج القرآنية والنبوية التي تجسّد هذه المعاني، مع تحليل أقوال العلماء والمفسرين في تأصيل المفهومين. كما ناقش البحث العلاقة بين الثقة والإيمان بأسماء الله وصفاته، ودورها في ترسيخ العقيدة، وخُتم البحث بوسائل معالجة ضعف الثقة وآثاره العقدية. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي، مع توثيق علمي دقيق.

الكلمات المفتاحية : الثقة- وعد الله - الثبات العقدي.

Summary:

This research addresses the concept of trust in Allah's promises as a fundamental pillar of Islamic belief. It aims to explore the impact of such trust on doctrinal steadfastness, especially during times of trials and tribulations. The study begins by defining the terms "trust in Allah's promise" and "doctrinal steadfastness," emphasizing their significance in Islamic theology. It then presents Qur'anic, prophetic based models that embody these concepts, supported by scholarly commentary and interpretation. The research further examines the link between trust in Allah and belief in His names and attributes, as well as the role of educational and religious discourse in nurturing this trust. It concludes with a discussion on strategies to address weak trust and its doctrinal consequences. The research adopts both inductive and analytical methods, supported by rigorous scholarly documentation.

Keywords: Trust - God's promise - Doctrinal stability

مقدمة البحث

تمثل العقيدة الإسلامية الأساس الذي تُبنى عليه حياة المسلم في تصوره، وعبادته، وسلوكه، وتزداد الحاجة إلى بيانها وترسيخها في زمن كثرت فيه الفتن والمغريات، والانحرافات الفكرية، وإن من أعظم ما يتفرع عن هذه العقيدة الصحيحة الثقة بوعد الله سبحانه، تلك الثقة التي تورث الطمأنينة واليقين، وتُعدّ من أقوى أسباب الثبات على الحق، سيما عند اشتداد الأزمات، واحتدام الشبهات، وضعف المواقف.

وقد أصبح من الضروري في واقعنا المعاصر إبراز دور هذه القيمة الإيمانية في مواجهة التغيرات العقدية التي طالت بعض النفوس، وتسللت إليها مظاهر القلق والضعف والوهن، حين غابت الثقة بوعد الله، أو تزعزع الإيمان به، فكانت الحاجة إلى دراسة هذا الموضوع دراسة علمية منهجية من الضروريات.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث والذي أسميته: « الثقة بوعد الله وأثرها في الثبات العقدي « ليُسلّط الضوء على الثقة بوعد الله، وأثرها في الثبات العقدي، رغبةً في ترسيخ هذه المعاني الإيمانية في النفوس، وتأكيدًا على ارتباطها المباشر بتقوية التصور العقدي لدى المسلم.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- بيان مفهوم الثقة بوعد الله وأهميتها.

٢- بيان أثرها في الثبات العقدي من خلال نصوص الوحي، وأقوال العلماء، وسير الأنبياء والصالحين.

٣- تحليل النماذج الواقعية التي يظهر فيها أثر هذه الثقة عند الابتلاء والامتحان.

أسباب اختيار الموضوع:

تم اختيار هذا الموضوع للأسباب الآتية:

١- أهميتة في الجانب الإيماني والعقدي.

٢- قلّة من أفرده بالبحث المستقل على النحو الذي يربط بين أصل «الثقة» العقدي وبين مظاهر «الثبات» في مواجهة الفتن والانحرافات، مما يجعله من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث.

الدراسات السابقة:

بالرجوع إلى الدراسات السابقة، لم أقف على بحث مستقل يعالج هذا العنوان بذاته، وإن كانت هناك دراسات متعددة في كتب العلم، ومباحث الإيمان، والدعوة، والعقيدة، تحدثت عن الثقة بالله، أو الثبات على الحق، لكنها لم تتناول العلاقة بين الثقة بوعد الله والثبات العقدي في سياق علمي منهجي متكامل، وهو ما يبرز الحاجة إلى هذا البحث.

المنهج في البحث:

اعتمدت في إعداد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع النصوص الشرعية، وأقوال السلف والعلماء، واستقراء النماذج الواقعية التي جسدت هذه الثقة، ثم تحليلها وربطها بالمفاهيم العقدية، مع توثيق المسائل وتأصيلها من مصادرها الأصلية.

تقسيمات البحث:

المبحث الأول: التعريف بمفهومي الثقة بوعد الله والثبات العقدي، وفيه مطلبان

المطلب الأول: مفهوم الثقة بوعد الله، وأهميتها في العقيدة الإسلامية

- تعريف الثقة لغةً واصطلاحًا
- معنى وعد الله في القرآن والسنة
- ارتباط الثقة بوعد الله بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته

المطلب الثاني: مفهوم الثبات العقدي وأهميته

- تعريف الثبات لغةً واصطلاحًا
- أهمية الثبات العقدي

المبحث الثاني: مظاهر الثقة بوعد الله في القرآن والسنة، وفيه مطلبان

المطلب الأول: نماذج قرآنية تُبرز الثقة بوعد الله

- ثقة إبراهيم عليه السلام
- ثقة موسى عليه السلام
- ثقة النبي محمد ﷺ في الهجرة والمعارك

المطلب الثاني: نماذج نبوية وعملية من السيرة النبوية

- مواقف الصحابة رضوان الله عليهم
- أقوال العلماء والمفسرين في شرح هذه النماذج

المبحث الثالث: أثر الثقة بوعد الله في الثبات العقدي، وفيه مطلبان

المطلب الأول: أثر الثقة بوعد الله في مواجهة الفتن والشبهات

• العلاقة بين الثقة واليقين
• الثقة كوسيلة لحماية المعتقد في زمن الانفتاح
المطلب الثاني: سبل تعزيز الثقة بوعد الله في واقعنا المعاصر
• وسائل التربية العقدية على الثقة بوعد الله
• معالجة ضعف الثقة وآثاره السلوكية والعقدية
الخاتمة:
• أبرز النتائج
• التوصيات

المبحث الأول
التعريف بمفهومي الثقة بوعد الله والثبات العقدي

المطلب الأول: مفهوم الثقة بوعد الله، وأهميتها في العقيدة الإسلامية

أولاً: تعريف الثقة بالله لغةً واصطلاحًا:

الثقة لغة: قال ابن فارس: «الواو، والثاء، والقاف كلمة تدل على عقد وإحكام، ووثقت الشيء: أحكمته، والميثاق: العهد المحكم، وهو ثقة، وقد وثقت به»(١).

اصطلاحاً: هي اعتماد القلب على ما وعد الله به من نصر، وتأييد، وهداية، ورزق، وثواب، مع اليقين الجازم بأنه لا يُ خلف وعده، والاطمئنان التام إلى تحقق ما وعد به سبحانه، دون تردد أوشك، وأن تأخر في ظن العبد.

وتدخل الثقة بوعد الله ضمن باب حسن الظن بالله، وهو أن يظن أن الله يفعل به خيراً، ويعطيه خيراً، وينصره، ويرحمه، ويهديه، ويعفو عنه.(٢)

ثانياً: معنى وعد الله في القرآن والسنة

أولاً: تعريف الوعد لغة

الوعد في اللغة: هو إخبار بأمر محبوب يُنتظر حصوله في المستقبل، سواء كان ذلك قولًا أو فعلًا.

قال ابن فارس: «الوَعد يدلُّ على الإخبار بما يُسَرُّ به الإنسان في المستقبل»[1].

ثانياً: معنى وعد الله في القرآن الكريم

وعد الله في القرآن الكريم يتكرر كثيرًا، ويأتي بمعنى الإخبار بما سيتحقق جزماً في المستقبل، وهو وعد صادق لا يُخلف، بخلاف وعد البشر. وقد يكون متعلّقًا بالنصر، أو المغفرة، أو الرزق، أو الجنة، أو ما شابهها من أمور الخير.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ٦/٨٥.

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ٢/ ٤٧٨.

ومن الآيات الدالة على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم:٦[

وقال تعالى:﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ التوبة:٧٢[

وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾فاطر:٥[

فوعد الله في القرآن ليس مجرد ترغيب، بل هو خبر من الله يتضمن الجزم والقطع بوقوعه؛ لأن الله لا يُخلف وعده، بخلاف البشر.

أما وعد الله في السنة النبوية فقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد على وعد الله لعباده الصالحين، ومن ذلك:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(قال الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[١]

٢.و قوله ﷺ (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه)[٢]

فوعد الله في القرآن والسنة يحمل معنى الصدق واليقين والقطع بوقوعه، وهو يشمل جميع ما أخبر الله به عباده من خير في الدنيا أو الآخرة، والثقة بهذا الوعد أصل راسخ في العقيدة، وبها يثبت المؤمن في دينه، ويطمئن قلبه في مواجهة الابتلاءات.

ثالثاً: ارتباط الثقة بوعد الله بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته

مما يدل على ارتباط الثقة بوعد الله تعالى بالإيمان به سبحانه وبأسمائه وصفاته ما يأتي:

أولًا: الثقة بوعد الله ثمرة من ثمار الإيمان بالله تعالى، فلا يمكن أن تتحقق إلا لمن آمن بالله إيمانًا حقيقيًا، إذ أن التصديق بوعد الله مبني على معرفة العبد بربه، وصفاته، وأسمائه الحسنى، قال ابن القيم: «الثقة التامة بوعد الله، ثمرة من ثمرات المعرفة به وبكمال أسمائه وصفاته» [٣]

ثانيًا: من أبرز الأسماء والصفات التي تؤسس الثقة بوعد الله

١. اسم الله الصادق فالله تعالى صادق في وعده لا يخلفه، كما قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾]النساء: ١٢٢[.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة، حديث رقم: (٣٢٤٤)، ١١٨/٤ وصحيح مسلم، كتاب: الجنة، حديث رقم (٢٨٢٤)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، ،باب: من صام رمضان إيماناً حديث رقم:(١٩٠١)، ١٦/١.

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ ،١٢١/٢.

٢. اسم الله الحكيم، فكل وعد من الله مبني على علمٍ وحكمةٍ، لا يُعطى إلا لمن يستحقه في وقته المناسب[١].

٣. اسم الله الرحمن، الكريم فالثقة بوعده تتقوّى؛ لأن المؤمن يعلم أن الله واسع الرحمة والعطاء والفضل، ولا يضيع أجر المحسنين.[٢]

٤.صفة الوفاء بالوعد، فمن صفاته سبحانه أنه لا يُخلف الميعاد، قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾]آل عمران: ٩[

ثالثًا: الدلالة العقلية والعقدية

من آمن بأن الله هو العليم الحكيم الصادق الكريم الغني القادر، الذي لا يخلف وعده، لزمه أن يثق بكل ما وعد به سبحانه. قال شيخ الاسلام "كل من عرف الله وصفاته، علم أن وعده حق لا محالة"[٣]

فالثقة بوعد الله نابعة من الإيمان بأسماء الله وصفاته، ولا يمكن أن يتحقق اليقين بوعده إلا لمن عرفه حق المعرفة.

فكل اسم وصفة إلهية تدعم جانبًا من جوانب الثقة، فالعلم بأسمائه وصفاته يُولِّد في القلب يقينًا ويثبت الإيمان.

المطلب الثاني : مفهوم الثبات العقدي وأهميته :

أولاً: تعريف الثبات العقدي لغة واصطلاحاً:

الثبات لغة: قال ابن منظور: ثبت الشيء يثبت ثباتا وثبوتا فهو ثابت، ويقال: ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتا، فهو ثابت إذا أقام به،[٤] ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)
المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ ، ١٨٠.

(٢) انظر: الفقه الأكبر، المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي (المتوفى: ١٥٠هـ)، الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ٤٢، في ذكر الصفات الثابتة لله.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية
عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ٢٠٤/٨.

(٤) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ١٩/٢.

نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾]هود: ١٢٠[.

وفي الاصطلاح: هو استمرار المؤمن على معتقده الصحيح، وعدم اضطرابه، أو تغيّره، أو تأثره بالشبهات أو المحن أو الإغراءات مع التمسك بالحق، والالتزام بالعقيدة السليمة حتى الممات(١).

ثانياً: أهمية الثبات العقدي في العقيدة الإسلامية

يُعد الثبات العقدي من أعظم ما يُعان به المؤمن على الاستقامة، وبه تُحفظ العقائد من الانحراف، وتُصان القلوب من الزيغ، فهو أحد المقومات الرئيسية لصحة الإيمان واستمراريته، وثمة جوانب متعددة تتضح من خلالها أهمية الثبات العقدي في العقيدة الإسلامية، ومن أبرزها ما يلي:

١. أن الثبات العقدي من أعظم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة

فالثبات على العقيدة الصحيحة هو الطريق المستقيم الذي يُفضي إلى رضوان الله والجنة، ومن فقده فقد وقع في خطر الزيغ والضلال، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾] إبراهيم: ٢٧[، وقد فسر السعدي هذه الآية بقوله: «يثبتهم عند الموت، وعند سؤال الملكين، وفي المواقف العظيمة، وعند الفتن في الحياة الدنيا؛ فيوفقهم للحق عند الشبهات، ويصرفهم عن الباطل عند الشهوات»(٢)

٢. أن الثبات العقدي ثمرة من ثمار العقيدة الصحيحة، ودليل على قوتها في القلب.

فكلما صحّت العقيدة، وتعمق الإيمان بها، أثمرت ثباتًا في مواقف الشدة والرخاء، وقد عُرف الصحابة ومن تبعهم بثباتهم في مواجهة الفتن؛ لأن العقيدة قد استقرت في قلوبهم بصدق ويقين، يقول عبدالله بن المبارك رحمه الله: « أصل الخوف والرجاء والحب، إنما هو المعرفة بالله، فإذا صحت المعرفة بالله صح الخوف والرجاء والحب، وإذا صح هذا ثبت العبد على الطاعة» (٣).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ٤٤٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٤٤٢

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن الجوزي، ٣/ ٥١٤.

٣. أن الثبات العقدي هو الميزان الذي يميز به الله عباده عند الابتلاء.

فبالفتن والشدائد يُظهر الله من صدق في إيمانه وتمسكه بعقيدته ممن كان إيمانه ظاهريًا هشًا، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾]العنكبوت: ٢ - ٣[، وفي تفسير ذلك قال ابن كثير: «لا بد أن يُمتحن العباد، ليتبين الصادق من الكاذب، ويظهر الثابت على الحق من المتزلزل»(١) .

٤. أن الثبات العقدي هو سمة أهل الإيمان وسبيل الأنبياء في دعوتهم

فقد ثبت الأنبياء في وجه التكذيب والعداوة، وما ذلك إلا لما استقر في قلوبهم من عقيدة راسخة لا تزعزعها الظروف، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ ﴿٨٩﴾ ﴾]الأعراف: ٨٩[وما هذا إلا مثال على الثبات العقدي حتى في أشد لحظات الضغط والتهديد.

٥. أن فقدان الثبات العقدي سببٌ في الانحراف والضلال

فمن لم يُحكم عقيدته، ولم يثبت عليها، كان عرضةً للشبهات التي تزيغ بها القلوب، وللشهوات التي تطمس نور الفطرة، قال صلى الله عليه وسلم : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نُكِت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكِت فيه نكتة بيضاء)(٢)

وبذلك يتبين أن الثبات العقدي ليس مجرد حالة عابرة، بل هو علامة على تمام الإيمان، وسبب في النجاة من الفتن والانحرافات، ومن أقوى ما يُعين عليه: اليقين بوعد الله، وكثرة الدعاء، والتمسك بالوحي، ومجالسة أهل الثبات، وتجنب مواطن الشبهات، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ الدائم: (يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك)(٣)

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ، ٣٠٨/٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب :الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن الحق بعد معرفته، حديث رقم ١٤٤)، ٢٠٨/٦.

(٣) رواه الترمذي ، وقال: حسن صحيح، حديث رقم (٣٥٢٢)، ١٦/٤

المبحث الثاني
مظاهر الثقة بوعد الله في القرآن والسنة

المطلب الأول: نماذج قرآنية تُبرز الثقة بوعد الله

أولاً: ثقة إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام من أعظم الأنبياء الذين تجلّت في سيرتهم مظاهر الثقة بوعد الله تعالى، وقد أثنى الله عليه في مواضع متعددة من كتابه الكريم، وبيّن كيف ثبت على الإيمان، واطمأن قلبه بوعد الله، رغم شدة البلاء وطول الانتظار.

ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

في هذا الموضع، تظهر ثقة إبراهيم عليه السلام في قبول الله لعمله، حيث دعا وتوجه إلى ربه معتمدًا على وعده بأنه سميع عليم.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠١]

مع أن إبراهيم عليه السلام بلغ من الكبر عتيًّا وكانت زوجته عاقرًا، إلا أنه دعا ربه واثقًا بقدرته ووعده، فجاءته البشارة، مما يدل على عمق الثقة والتصديق بوعد الله.

و قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فعند طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، لا شكًّا في وعد الله، بل زيادة في الاطمئنان، وهذا من كمال يقينه وثقته بقدرة الله ووعده.

فإبراهيم عليه السلام مثّل نموذجًا فريدًا في الثقة بوعد الله، يظهر ذلك في دعائه، وصبره، وتعلّقه بربه، وتصديقه لما وعده الله به، رغم كل المعوقات الظاهرة. وهذه النماذج تربي النفس على اليقين بالله والثقة بما عنده، مهما طال الزمن أو اشتد البلاء.

ثانياً: ثقة موسى عليه السلام

تُعدّ سيرة موسى عليه السلام من السير النبوية التي تجلّت فيها مظاهر الثقة بوعد الله، حيث واجه أعتى الطغاة، وواجه من قومه ما يزعزع اليقين، ومع ذلك ثبت قلبه واطمأن لوعد الله بالنصر والتمكين، وظهر ذلك في مواقف متعددة.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٢]

ففي هذا الموقف العصيب، حين انقطع بهم الطريق، وتيقن قومه من الهلاك، ظهر يقين موسى عليه السلام وثقته المطلقة بوعد ربه بالنصر والهداية، فقال موقناً: «كلا إن معي ربي سيهدين»، وهذه هو مفهوم الثقة بوعد الله .

وقوله تعالى: ﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

فاستجابة موسى عليه السلام للميقات، وثباته على الطاعة رغم طول المدة، يظهر أثر الثقة بالوعد الرباني، فلم يتزحزح عن موقفه رغم تأخر الرجوع، بل ظل واثقًا بتمام الوعد.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]

حيث تتجلى هنا ثقة موسى عليه السلام في أن النعمة من الله تستوجب الثبات على طاعته، والبعد عن معصيته، فهو يربط الموقف الأخلاقي بالإيمان بالنعمة ووعد الله في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: ثقة النبي محمد ﷺ في الهجرة والمعارك

تجلّت الثقة بوعد الله تعالى في سيرة محمد ﷺ في أعظم صورها، لاسيما في اللحظات التي تزلّ فيها الأقدام وتضعف النفوس، فكانت هجرته وغزواته شاهدة على يقين لا يتزعزع، وثقة مطلقة بوعد الله بالنصر والتمكين، رغم شدة البلاء وقلة الناصر.

ومن الأدلة على ثقته صلى الله عليه وسلم في هجرته قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ففي هذه اللحظة الحرجة، وقد طوّق العدو الغار، طمأن النبي ﷺ أبا بكر بثقة مطلقة بالله: "لا تحزن إن الله معنا"، وهذه الكلمة كشفت عن يقين راسخ في معية الله ونصره، رغم قرب الخطر، يقول ابن كثير: « وهذا من أعظم مناقب الصديق رضي الله عنه، ودليل على كمال يقين النبي ﷺ وثقته بالله تعالى»(١)

ومن الأدلة على ثقته صلى الله عليه وسلم في المعارك ثقته في غزوة بدر، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ ، ٤/ ١٤٥

فرغم قلة عدد المسلمين وعتادهم، وثق النبي ﷺ بوعد الله بالنصر، فأخذ يناشد ربه حتى سقط رداؤه، فأوحى الله إليه بوعده بإمداد الملائكة، فاطمأن قلبه وبشّر أصحابه بذلك، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (نظر النبي ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمئة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة، ثم قال: (اللهم أنجز لي ما وعدتني)...)[1]

وفي غزوة الأحزاب قال تعالى : ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ففي وقت اشتد فيه الحصار وبلغ الخوف ذروته، ثبت النبي ﷺ ومن معه، وزادتهم الثقة بالله ثباتًا لا جزعًا؛ لأنهم علموا أن النصر وعد حق من عند الله.

فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يحفر معهم الخندق ويقول وهو يضرب الحجر: (الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة) [2] رغم الجوع والخوف، بشّر أصحابه بالفتح، مما يدل على ثقة عظيمة بوعد الله.

فكانت ثقته ﷺ بوعد ربه النور الذي سار به وسط ظلمات الأذى، والحصار، والحروب فلم يتراجع بل ثبت وأثبت أصحابه معه، وأورث الأمة دروسًا خالدة في الثبات واليقين، يتجدد أثرها كلما اضطربت النفوس واضطربت الطرق.

المطلب الثاني: نماذج نبوية وعملية من السيرة النبوية

أولاً: مواقف الصحابة رضوان الله عليهم

تجلّت الثقة بوعد الله تعالى في سلوك الصحابة رضي الله عنهم في كثير من مواقفهم، إذ نشأوا وتربوا في مدرسة النبوة، فامتلأت قلوبهم يقينًا وثقة بنصر الله وصدق وعده، وفيما يلي ثلاثة نماذج بارزة:

١. ثقة الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه في الهجرة

حين اشتد الطلب على النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في غار ثور، ووقف المشركون عند باب الغار، خاف أبو بكر على النبي ﷺ، فقال له النبي: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)[3].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، حديث رقم (١٧٦٣)، ٣/ ١٣٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق والأحزاب، حديث رقم (٤١٠١)، (٧/ ٤٦١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، (حديث ٣٦٥٣)، ٤/٥.

فرغم الخطر الداهم، ثبت أبو بكر بعد هذه الكلمة، واطمأن قلبه، وهو الذي قال تعالى عنه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. فهذه ذروة الثقة بالله بعد تصديق النبي ﷺ والتعلق بوعد الله تعالى.

٢. ثقة خُبَيْب بن عدي رضي الله عنه عند القتل.

لما أُسر خُبيب بن عدي رضي الله عنه، وقدموه للقتل، سألوه: أتحب أن محمدًا ﷺ مكانك؟ فقال:(والله ما أحب أني في أهلي وولدي، وأن محمدًا ﷺ يُشاك شوكة)(١)

قال ابن حجر: (هذا من أعظم صور الثقة بالله والثبات على الحق رغم شدة البلاء، إذ لم يضعف ولم يتراجع، بل بقي على ولائه لله ورسوله حتى القتل)(٢)

٣. ثقة الصحابي أنس بن النضر رضي الله عنه في غزوة أحد

ففي غزوة أُحد، لما رأى انكشاف بعض المسلمين، قال أنس بن النضر رضي الله عنه: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء –يعني المسلمين–، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء –يعني المشركين–، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد، الجنة! واهاً لريحها، إني أجد ريحها دون أحد...)(٣)

فكان موقفه تجسيدًا حيًّا للثقة بوعد الله بالجنة للشهداء، فقد اندفع إلى المعركة يقينًا بوعد الله، فقُتل رضي الله عنه، ووجدوا فيه بضعًا وثمانين جرحاً، وما عرفته إلا أخته ببنانه.

هذه المواقف الثلاثة تمثل نماذج عظيمة من الثقة العملية بوعد الله تعالى، إذ لم تكن الثقة لديهم مجرد قناعة ذهنية، بل سلوكًا حيًّا يرافقهم في الهجرة والجهاد والمحن، فاستحقوا أن يكونوا خير أمة أُخرجت للناس.

ثانياً: أقوال العلماء والمفسرين في شرح هذه النماذج

جاءت أقوال العلماء والمفسرين لتُبرز عمق هذه النماذج القرآنية والنبوية، وتكشف عن المعاني العقدية الرصينة التي تنطوي عليها، لا سيما في باب الثقة بوعد الله، وبيان أثرها في ثبات المؤمنين، وفيما يلي أبرز ما ورد في شرح تلك النماذج:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة الرجيع، (حديث ٣٠٤٥)، ٤/ ١٥٧٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة- بيروت، ط: (بدون)، ٧/ ٣٣٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، حديث(١٩٠٣)٤/ ١٥٥٢.

١. في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

قال الإمام الطبري: «أي لا تخف، فإن الله معنا بالحفظ والنصر والتأييد، وهذه المعية الخاصة دليل على كمال ثقة النبي ﷺ بوعد ربه، وعلى طمأنينة قلب أبي بكر بعد سماعه لها.»(١)

وقال ابن كثير: يخبر تعالى عن تأييده لنبيه، وحفظه له، وأنه لا يضيعه، كما قال له حين خرج هو وأبو بكر في الهجرة وتبعهما المشركون... فلما رأى أبو بكر أقدام المشركين قال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: لا تحزن إن الله معنا.(٢)

٢. في حديث خُبيب بن عدي: «ما أحب أني في أهلي وولدي...».

قال ابن حجر: «فيه دلالة على كمال محبة الصحابة لرسول الله ﷺ، وصدق إيمانهم به، وأن الثقة بوعد الله والولاء له تفوق كل عاطفة بشرية، حتى لو كانت على حساب النفس والأهل.»(٣).

وقال النووي: « هذا الحديث يدل على نهاية الإخلاص والثقة بالله، إذ آثر خُبيب الموت على أن يصاب النبي ﷺ بأدنى أذى، وهو مظهر من مظاهر الصدق في العقيدة.»(٤)

٣. في موقف أنس بن النضر في أُحد: «واها لريح الجنة إني لأجد ريحها دون أحد...»

قال القاضي عياض: «كلام أنس بن النضر هو منتهى الثقة بوعد الله، إذ لم يرهُن الجنة بانتصار المسلمين أو ثباتهم، بل اندفع يقينًا أن الموت في سبيل الله هو الطريق المباشر لوعد الجنة»(٥)

وقال ابن الجوزي : «أمثال هؤلاء الصحابة هم الذين باعوا نفوسهم لله، وصدقوا وعده، واستعذبوا الموت في سبيله، فرأوا الجنة أمام أعينهم، وكأن وعد الله واقع محسوس» (٦)

---

(١) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (ج١٤، ص٣٧٣)

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (ج٤، ص١٤٤)

(٣) : فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ (ج٦، ص١٦٧)

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ ، (ج١٢، ص١٣٣)

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)،الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع
عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م (ج١، ص١٧٤)

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ,

والمواقف أكثر من أن تحصى، وقد دلت أقوال العلماء والمفسرين عن فقه عميق لمعاني الثقة بوعد الله، وكيف كانت هذه الثقة محركًا إيمانيًا في حياة الصحابة، ومنهجًا ربانيًا في التعامل مع الشدائد، وقد كانت هذه النماذج ولا تزال منارات هادية لكل مؤمن يبتغي الثبات في العقيدة والمواقف.

١٤١٥هـ/١٩٩٤م (ج٣، ص١٧٣).

المبحث الثالث
أثر الثقة بوعد الله في الثبات العقدي

المطلب الأول: أثر الثقة بوعد الله في مواجهة الفتن والشبهات

أولاً: العلاقة بين الثقة واليقين:

الثقة بوعد الله لا تنفكّ عن اليقين، بل هي ثمرة من ثماره، ومظهر من مظاهره. فكلما ازداد اليقين في قلب العبد، رسخت ثقته بوعد الله، والعكس بالعكس، إذ لا تتحقق الثقة الكاملة إلا إذا امتلأ القلب يقينًا بصدق الله، وكمال علمه، ونفاذ أمره، وحُسن تدبيره.

أقوال العلماء في العلاقة بين الثقة واليقين:

١. « من منازل إياك نعبد وإياك نستعين: منزلة اليقين، وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد... وهو قوة الإيمان وثباته، والثقة بالله ثمرة من ثمراته، فمن فقد اليقين فُقدت منه الثقة، ومن قوي يقينه قوي توكله وثقته"(١)

٢. الثقة بالله تكون بقدر قوة اليقين به، فمن قوي يقينه بأن الله لا يخلف وعده، وأنه أرحم الراحمين، كانت ثقته به في كل أمر لا تتزعزع" (٢)

وقد ربط الفرآن الكريم بين الثقة واليقين، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، فبعد أن أراه الله آياته العظيمة، قوي يقينه، ومن ثم ظهرت ثقته التامة بوعد الله، كما في دعائه وبنائه للكعبة، واستسلامه للأمر الإلهي في الذبح.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، فاليقين برحمة الله يمنع اليأس، ويثمر الثقة بأن الفرج آتٍ، وهذا ما ظهر في يقين يعقوب وثقته في عودة يوسف عليه السلام.

ثانياً: الثقة كوسيلة لحماية المعتقد في زمن الانفتاح

الثقة بوعد الله لا تنفصل عن اليقين، بل هي فرعه المباشر وثمرته، فمن رسخ في قلبه اليقين بصدق وعد الله، وبكمال حكمته وعدله، نشأت عنه ثقة راسخة بالله لا تتزلزل، لا سيما عند اضطراب الأحوال واشتداد الفتن.

(١) مدارج السالكين، لابن قيم ٢، ٣٩٧.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٦١٤، ١٠.

وقد قرر العلماء هذا المعنى فبينوا أن الثقة بالله ثمرة من ثمرات اليقين، فإذا فقد اليقين فقدت الثقة، ومن قوي يقينه قوي توكله وثقته [١]

وقد ضرب القرآن أروع الأمثلة في هذا الباب، فحين قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، كان ذلك نابعًا من يقين في وعد الله، تجلّت عنه ثقة مطلقة في أعقد لحظات الخوف، فجاءه النصر المبين.

وعند الهجرة، قال النبي ﷺ لأبي بكر: «لا تحزن إن الله معنا» [التوبة: ٤٠].

وهي الكلمة التي ثبتت بها قلوب الصحابة، إذ رأوا فيها تجسيدًا للثقة واليقين، مع وجود الخطر الحقيقي الداهم.

وهنا تظهر الثقة بوعد الله كوسيلة عظيمة لحماية المعتقد زمن الفتن، فالقلوب لا تثبت حين تتزاحم الشبهات، ولا تصبر حين تثور الشهوات، إلا إذا ارتبطت بعقيدة راسخة تُغذّيها الثقة بوعد الله بالنصر، والعاقبة للمتقين، وتمكين أهل الحق، مهما طال الطريق.

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]

«أي من سنن الله الماضية، التي لا تتخلف، أن ينصر من آمن به، وثبت على دينه، وهذا من أعظم ما يزرع الطمأنينة والثقة في قلوب المؤمنين، في أوقات الفتن والمحن.»[٢]

كما أن الفتن تُظهر معدن الإنسان، فإن الثقة بوعد الله تحفظ قلبه من القلق والاضطراب، وتمنعه من الزيغ العقدي أو التنازل .

فإذا صدق العبد في توكله ويقينه وثقته، أراه الله من آياته ما تزول به الشبه، وتنجلي به الفتن، ويقوى به الإيمان[٣]

المطلب الثاني: سبل تعزيز الثقة بوعد الله في واقعنا المعاصر

أولاً: وسائل التربية العقدية على الثقة بوعد الله

يُعد غرس الثقة بوعد الله في النفوس من أعظم الوسائل التربوية لتعميق العقيدة، وترسيخ الإيمان في القلب، خاصة في زمن كثرت فيه الشبهات والفتن، ولأجل أن تتحقق هذه الثقة عمليًا في حياة المؤمن، لا بد من اتباع وسائل تربوية ممنهجة، تتكامل فيها الجوانب العلمية

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن الجوزي ، ٢(/٣٩٧)

(٢) انظر: تفسير السعدي، للسعدي،(٦٥٠).

(٣) انظر: الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن الجوزي(المتوفى: ٧٥١هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م (٩٦)

والإيمانية والسلوكية. وفيما يلي أبرز تلك الوسائل:

١. ترسيخ اليقين بصدق وعد الله من خلال النصوص الشرعية

إن التأمل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تذكر وعد الله بالنصر والتمكين والرزق والمغفرة، يولد في النفس طمأنينة ويقينًا، وهو الأساس الذي تُبنى عليه الثقة بوعد الله تعالى قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦].

قال ابن كثير: «هذا وعد من الله حق لا خلف فيه، وهو من أعظم ما يُربي في النفس الثقة والطمأنينة.»(١)

٢. دراسة سِيَر الأنبياء والصالحين كنماذج حية للثقة بوعد الله تعالى

الوقوف على مواقف الأنبياء والصحابة والتابعين حين اشتدت عليهم الأزمات، يُعلّم النفس كيف تستمد الثبات من الثقة بوعد الله، قال ابن القيم: «سِيَرهم مدرسة اليقين والثقة، من لم يتعلم منها ضاع عند أول فتنة.(٢)

٣. غرس معاني أسماء الله وصفاته في القلب

الإيمان بأسماء الله وصفاته، ك (الرحيم، الحكيم، الرزاق، القوي، الناصر، الوكيل)، هو الطريق العملي لترسيخ الثقة بالله تعالى .

٤. تعزيز التوكل على الله تعالى

التوكل هو التطبيق العملي للثقة، وهو عمل قلبي يدفع صاحبه إلى اتخاذ الأسباب مع تمام الاعتماد على الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فالثقة والتوكل وجهان لحقيقة واحدة، فمن توكل بصدق وثق بوعد الله (٣)

٥. التربية على الصبر وربط نتائجه بوعد الله

الصبر طريق النصر، وربطه بوعد الله يجعل النفس تحتمل الشدة انتظارًا للفرج، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، وفي ذلك يقول ابن عاشور:» الابتلاء سنة إلهية، والصبر في مواجهة الابتلاء لا يكون إلا ممن استقرت في قلبه الثقة بأن العاقبة للمتقين» (٤)

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٦/ ٣٢٤.

(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم (٧٥)

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٤/١..

(٤) انظر: (التحرير والتنوير، ج٢٦، ص١٩٧)

إن الثقة بوعد الله تحتاج إلى أن تُغرس وتُربى من خلال وسائل تربوية متكاملة، تبدأ بالعلم، وتقوى بالقدوة، وتترسخ بالتدرّب على التوكل والصبر، وكلما تربى المؤمن على هذه المعاني، كلما قويت عقيدته وثبت قلبه في مواطن الفتن.

ثانياً: معالجة ضعف الثقة وآثاره السلوكية والعقدية

ضعف الثقة بوعد الله يُعدّ من أعظم أسباب الاضطراب العقدي، إذ ينشأ عنه الشك، واليأس، والتعلق بالماديات، والانهزام أمام الفتن، ولذلك اهتم العلماء والمربّون بهذا الجانب من حيث الوقاية والعلاج؛ لأن فقدان الثقة بوعد الله هو خلل في الإيمان، يفضي إلى آثار خطيرة.

أولًا: آثار ضعف الثقة بوعد الله على المعتقد

١. الوقوع في الشك في صفات الله تعالى

٢. التكاسل عن العبادات والطاعات

٣. الانسياق وراء الشبهات الفكرية أو الفتن الاجتماعية

فالذي لا يثق بوعد الله، يظن أن الباطل هو الغالب، فيتأثر بالتيارات المنحرفة ونظر إلى قوة الكفار، فضعف يقينه وهان عليه دينه[١]

ثانيًا: وسائل معالجة ضعف الثقة بوعد الله

١. تعميق الإيمان بأسماء الله وصفاته، خاصة الصفات المرتبطة بالوعد، مثل (الرحيم، الكريم، الوهاب، الرزاق، الحكيم).

٢. مداومة التأمل في قصص القرآن فالقصص القرآني يعيد بناء الثقة في النفس، ويثبت أن وعد الله لا يُخلف أبدًا، مهما بدا الواقع مخالفًا.

٣. صحبة الصالحين والمربين الموقنين

٤. الاستغفار والدعاء وسؤال الله الثبات

(١) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد الزهري، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت-، ١٤٨.

الخاتمة

خلُص البحث بعد توفيق الله تعالى إلى ما يأتي :

- أن الثقة بوعد الله أصل راسخ في العقيدة الإسلامية، لها تأثير مباشر في ترسيخ الإيمان والثبات في وجه الفتن والمحن.

- أن الثقة بوعد الله نابعة من معرفة صفات الله وأسمائه، ومن تدبر نصوص الوحي التي وعد الله فيها عباده بالنصر والتمكين.

- ثبت أن الثقة بوعد الله من أعظم ما يعين على الثبات العقدي، خصوصًا في أزمنة الاضطراب والانحراف الفكري والديني.

- تتجلى الثقة بوعد الله في سير الأنبياء والصالحين، وكانت عاملًا رئيسًا في صبرهم وثباتهم على الحق رغم الشدائد. - تتطلب هذه الثقة تربية إيمانية متواصلة، وتعهدًا دائمًا للنفس بالعلم والعمل والصبر.

توصيات البحث:

١. العناية بغرس الثقة بوعد الله، وجعلها جزءًا من البناء العقدي المبكر.

٢. دعوة الخطباء والدعاة والمعلمين إلى تسليط الضوء على هذا الأصل العقدي في خطبهم ودروسهم.

٣. توجيه الباحثين إلى الاهتمام بالدراسات التطبيقية التي ترصد أثر هذه الثقة في الواقع، خاصة في أوساط الشباب.

٤. التأكيد على دور الأسرة والتعليم والإعلام في بناء الثقة بوعد الله وتحقيقها واقعًا عمليًا.

٥. الحث على التأمل في سير الأنبياء والصحابة كمصدر عملي لليقين والثقة بوعد الله تعالى.

٦. العمل على تضمين مفاهيم الثقة في البرامج التربوية والتحصينية ضد الانحرافات الفكرية والعقدية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري.
المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
- الفقه الأكبر، المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي (المتوفى: ١٥٠هـ)، الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ٤٢، في ذكر الصفات الثابتة لله.
- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة- بيروت، ط: (بدون)، ٧/ ٣٣٩.

- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)،الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع.

عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م (ج١، ص١٧٤).

- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

- الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد الزهري، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.